

الوعد الإلهي بالنصر من خلال سورة الإسراء

السنة السادسة عشرة
العدد ٩٠١ - ٢٠ / رمضان / ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠١٠ / آب / ٢٠ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- عوامل الانتصار
- الوعد الإلهي بالنصر
- استشعار روح الجهاد والشهادة

الهدف: التعرف على أسباب النصر والوعد الإلهي به.

تصدير الموضوع:

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ * وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا^(١).

(١) سورة الإسراء.

مقدمة:

إن صناعة النصر بالتضحية والدم والشهادة، ثقافة محمدية علوية حسينية تعلمها المجاهدون من بدر وخيبر وعاشوراء حيث الإيمان مع القوة والثبات، والعقيدة الراسخة مع العزيمة والشجاعة؛ وانتصار الدم على السيف، والثبات والإرادة على الهزيمة والانتقياذ أمام الظالمين، وتعتمد هذه الثقافة في مواجهة الظالمين والمستكبرين على الإيمان بالله وطاعته؛ لأنه يقول في كتابه العزيز: ﴿إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُخْرِجْ أَعْدَاءَكُمْ^(١)﴾، و: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ

اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ^(٢)». والإيمان ليس قولاً فقط، بل هو عقيدة وعمل وأمل وثقة، يقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ^(٣)».

١- عوامل الانتصار:

أشارت الآيات المذكورة أعلاه إلى ثلاثة عوامل للانتصار، هي:

أ - الدخول الصادق والخالص في الأعمال.

ب - الاستمرار على هذه الحالة الصادقة حتى النهاية، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ^(٤)».

ج - الاعتماد على قدرة الخالق بالاعتماد على النفس، وترك أي اعتماد أو تبعية على الأجنبي، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا. فليس هناك أية سياسية تؤثر في الانتصار كما في الصدق والإخلاص، ليس هناك أي اعتماد أفضل من الاعتماد على الخالق والاستقلال وعدم التبعية.

ولا بد من الإشارة إلى أن التوكل على الله مع إعداد القوة من أعظم عوامل النصر؛ لقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ^(٥)». لأن التوكل يقوم على ركنين عظيمين:

الأول: الاعتماد على الله والثقة

بوعده ونصره تعالى.

الثاني: الأخذ بالأسباب الطبيعية كالتهيئة والتدريب ومعرفة العدو وخططه وتقنياته، والاستفادة من مختلف التقنيات العسكرية الممكنة.

د- حتمية انتصار الحق وهزيمة الباطل: نواجه في الآيات أعلاه أصلاً تاماً، وأساساً آخر، وسنة إلهية خالدة تزرع الأمل في قلوب أنصار الحق، هذا الأصل هو أن عاقبة الحق الانتصار، وعاقبة الباطل الاندحار. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ^(٦)».

إن الباطل شيء مصنوع ومزور، ليست له جذور، أجوف، والأشياء التي لها صفات كهذه - عادة - لا يمكنها البقاء طويلاً. أمّا الحق فله أبعاد وجذور متناسقة مع قوانين الخلق والوجود، ومثله ينبغي أن يبقى^(٧).

الوعد بالنصر: إن حقيقة انتصار الحق وانهازم الباطل هي تعبير عن قانون عام يجري في مختلف العصور، وانتصار الرسول ﷺ على الشرك والأصنام وبقيّة الانتصارات هي على هذه القاعدة. جاء في سورة الإسراء عند الحديث عن فساد بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى

(٥) الرعد، ١٧.

(٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٩،

ص: ٩٦.

(٢) الحج: ٤٠.

(٣) الروم: ٤٧.

(٤) المائدة: ١١.

(١) محمد: ٧.



إليه يصعد الكلم الطيب

يَتَوَكَّلُونَ، الَّذِينَ يَمُنُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ^(٩). وقال الله تعالى: «وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا»^(١٠).

ج - الشجاعة والبطولة والتضحية: من أعظم أسباب النصر: الاتصاف بالشجاعة والتضحية بالنفس والاعتقاد بأن الجهاد لا يقدم الموت ولا يؤخره، قال الله تعالى: «إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بَرْجٍ مُشِيدَةٍ»^(١١). قال الشاعر:

من لم يمت بالسيف مات بغيره

تعددت الأسباب والموت واحد ولهذا كان أهل الإيمان الكامل هم أشجع الناس وأكملهم شجاعة هو إمامهم النبي محمد ﷺ، وقد ظهرت شجاعته في المعارك الكبرى التي قاتل فيها ومنها على سبيل المثال: أولاً: شجاعته البطولية الفذة في معركة بدر، قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً»

وقال عليه السلام: «كنا إذا حمي البأس ولقي القوم اتقينا برسول الله ﷺ فلا يكون أحد أدنى إلى القوم منه». ثانياً: في معركة أحد قاتل قتلاً بطولياً لم يقاتله أحد من البشر.

ربهم: قال الله تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»^(٤). وقال تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ»^(٥).

كما ينبغي إضافة للإيمان والاعتقاد النظري، تربية النفس وتهيتها للشهادة، وقد صرح النبي ﷺ وأمير المؤمنين ببحب الشهادة والقتل في سبيل الله، فورد عنه عليه السلام قال: «والذي نفسي بيده لو ددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»^(٦)، وعن علي عليه السلام: «... فوالله إني على حق وإنني للشهادة لمحب».

ب - الاعتقاد بالوعد الإلهي بالنصر: وعد الله المؤمنين بالنصر المبين على أعدائهم، وذلك بإظهار دينهم، وإهلاك عدوهم وإن طال الزمن، قال تعالى: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»^(٧). وقال سبحانه: «حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»^(٨) والمؤمنون الموعودون بالنصر هم الموصوفون بقوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِنَفْسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسُورُوا وُجُوهَكُمْ وَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِّرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا»^(١).

٢- بقية أسباب النصر:

أ - استشعار روح الجهاد والدفاع واجب بالاعتقاد بأن الجهاد والدفاع واجب كبقية الواجبات، بل من أهمها، وقد فرضه الله على كل قادر دفاعاً عن المقدسات والحرمان، وعن العقيدة والمبدأ، وعن الحمى والوطن، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ عِرْضِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ قَوْمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(٢) وقد جاء في القرآن آيات كثيرة تحث على استشعار روح هذا الجهاد فقال: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ»^(٣).

ولا بد من الاعتقاد التام بأن الشهادة حياة وأن الشهداء أحياء عند

(٤) آل عمران / ١٦٩.

(٥) البقرة / ١٤.

(٦) مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٣١.

(٧) غافر: ٥٢، ٥١.

(٨) الروم: ٤٧.

(١) سورة الإسراء.

(٢) أخرجه أحمد، ج ١، ١٩٠، وابو داود، ١٢٨، ٥٠.

١٢٩ برقم ٤٧٧٢.

(٣) د.

(٩) الأنفال: ٢-٤.

(١٠) النساء: ١٤١.

(١١) النساء: ٧٨.